



قِصَّةُ أَصْحَابِ السَّبْتِ

بقلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود
إشراف : ا. حمدى مصطفى



فيما مضى من زمان ...

كان يومُ السبت يوم عُطلة أُسبوعية لليهود يكُفُّون فيه عن العمل ، ويتفرغُون لعبادة الله (تعالى) ذكرُه ..

كان السبتُ يوما تحرمُ فيه الأعمالُ الدنيويةُ من زراعة وصناعة وتجارة وصيد ورعى ، وغيرها من الأعمال ..

وكان من بين ما حُرم على اليهود فى ذلك اليوم صيد الحيتان وبيعها .. (يطلق القرآن الكريم والعرب لفظة الحيتان على الأسماك) .

لكن اليهود قوم سوء انطوت نفوسهم الملتويةُ على الكثير من الصفات المذمومة ، والسمات المرذولة ، كالمكر والخبث والتحايل على تغيير شرع الله ، حتى أحلُّوا ما حرمه اللهُ ، وحرموا ما أحلَّه ..

وهذه القصةُ القُرآنيةُ تبين لنا كيف تحايل هؤلاء اليهود الملاعين على تغيير شرع الله ، كما تحايلوا على تحريف وتزييف التوراة ..

وقد حذرنا اللهُ (تعالى) فى الكثير من الآيات القُرآنية أن نسير سيرهم ، فنقع فيما وقعوا فيه من الإثم ، فيحل علينا ما حلَّ عليهم من اللعن والعذاب والطرد من رحمة الله ..

كما حذرنا رسول الله ﷺ أن نحذو حذوهم ، أو ننسج على منوالهم ، فقال :

ـ « لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود ، فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل » ..

* * *

وقعت أحداث هذه القصة في زمن نبي الله « داود » عليه السلام ، وفي قرية تسمى « أيلة » وهي قرية تقع على شاطئ البحر الأحمر ..

وفي ذلك الزمان البعيد ، كان أهل « أيلة » متمسكين بشرائع الدين ، وتعاليم التوراة التي أنزلت على نبي الله « موسى » عليه السلام ، وتحريم العمل في يوم السبت أو الصيد فيه ..

وكان الكثيرون من أهل القرية الساحلية يعملون بصيد الأسماك ..

وكانت الحيتان قد تعودت منهم الهدوء والسكينة في يوم السبت ، فكانت تأتي إلى شاطئ القرية في ذلك اليوم ، وهي آمنة مطمئنة من الصيد والوقوع في الشباك والفخاخ والشصوص التي ينصبها لها الصيادون في بقية أيام الأسبوع ..

كانت الحيتان تظهر لهم في يوم السبت عيانا بيانا ، دون أن يجرؤ أحد على إزعاجها أو التعرض لها ؛ لحرمة يوم السبت ..

فإذا انقضى السبت وجاء الأحد ، ذهب اليهود يبحثون عن الحيتان لصيدها ، فلا يجدون لها أثرا .. لقد ابتعدت الحيتان عن الشاطئ ، وغاصت في أعماق البحر .. وكان ذلك يحدث في كل أيام الأسبوع ما عدا يوم السبت .. فإذا جاء يوم السبت عادت الحيتان إلى الظهور على شاطئ القرية بكثرة ، مرة أخرى .. فإذا انقضى السبت تسربت إلى داخل البحر ، وتعذر عليهم صيدها .. وكان ذلك ابتلاء واختبارا من المولى (عز وجل) لأصحاب القرية ..

* * *

مضى الحال على ذلك زمنا ..

ثم أخذ أهل «أيلة» يتعجبون مما يرون .. فقال قائل منهم :

ـ ما بال الحيتان يكثر ظهورها على ساحل قريتنا في ليلة السبت ويومه ، وتختفي في بقية أيام الأسبوع ، حتى يصبح صيدها في عمق البحر صعبا ..

وقال آخر :

ـ تبدو الحيتان وكأنها تخرج لنا ألسنتها لتغيظنا ..

وقال ثالث :

ـ ربما كان ما يحدث نوعا من الابتلاء والاختبار لنا .. ربما كان ابتلاء من الله واختبارا ؛ ليعلم هل نظل متمسكين بتعاليم الدين ،

وتحريم يوم السبت ، أو أننا سوف نضعف أمام هذا الكسب الدنيوى المغرى ..

وبمرور الأيام ، وتتالى الأعوام ضعف الإيمان ، بل ضاع من قلوب فئة من أهل هذه القرية ، فاجتمع أهل هذه الفئة الضالة ، الذين أعماهم الطمع والجشع ، وراحوا يتشاورون فى الأمر ، عسى أن يجدوا حيلة يحتالون بها على شرع الله .. حيلة تمكنهم من صيد الحيتان فى يوم السبت ، برغم حرمة العمل فيه ..

قال أحدهم والغيظ يكاد يأكل قلبه :

ـ ألم تفكروا فى غرابة هذا الأمر ، وتناقضه مع كل عقل ومنطق ؟! الحيتان تغزو شاطئنا بكثرة فى يوم السبت ، وفى بقية الأيام لا نكاد نراها إلا بشق النفس ..

وقال آخر متجاوبا معه :

ـ تبدو هذه الحيتان الماكرة ، وكأنها تعلم أننا لن نصيدها فى يوم السبت ؛ ولذلك تسبح على سطح الماء بحرية ..

تحمس ثالث ، قائلا :

ـ لابد من حيلة لصيد هذه الحيتان الماكرة فى يوم السبت ..

فنظر إليه الآخرون وقد تحمسوا للفكرة ، وقال أحدهم مستنكرا :

ـ كيف نصيدها فى يوم السبت ، وهو يوم عطلتنا المحرم علينا العمل فيه ؟! أنسيتم تعاليم «التوراة» بحرمة العمل فى ذلك اليوم . .

فرد عليه آخر :

ـ دعك الآن من تعاليم «التوراة» ووصايا الأنبياء . . نحن هنا للبحث عن حل أو حيلة نوفق بها بين تعاليم «التوراة» وصيد هذه الحيتان المغرية . .

وقال ثالث متجاوبا معه :

ـ إننا نبحث عن حل وسط . . حل يجعلنا نربح كثيرا فى دنيانا ، ولا نخسر كثيرا فى أخرانا . .

أطلق أحدهم ضحكة ساخرة ، وقال فى تهكم :

ـ حل يرضى جميع الأطراف . . حل يرضينا ويرضى تعاليم «التوراة» ووصايا الأنبياء . . حل على طريقة اليهود . .

* * *

ما أكثر الحيل والحلول عندما تخبث الطبائع ، وتلتوى النفوس ، وتميل القلوب عن الشرع والدين . . ما أكثر التحايل على شرع الله من اليهود . .

وهكذا فكر هؤلاء العصاة الملاعين من أهل «أيلة» ودبروا

لِيَحْتَالُوا عَلَى صَيْدِ الْحِيتَانِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ ..

فَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُم :

- نَنْصِبُ الشِّبَاكَ وَالشُّصُوصَ وَنَضَعُ الْحَبَائِلَ لِلْحِيتَانِ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ ، فَإِذَا جَاءَتْ إِلَى شَاطِئِنَا فِي يَوْمِ السَّبْتِ وَقَعَتْ فِيهَا ، وَلَمْ تَسْتَطِعِ التَّخَلُّصَ مِنْهَا ، فَنَأْخُذَهَا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ..

وَقَالَ آخَرُ مُتَجَاوِبًا مَعَهُم :

- نَحْفِرُ الْحُفَرَ وَالْأَنْفَاقَ عَلَى الشَّاطِئِ ، وَنَجْعَلُهَا تَصِلُ إِلَى الْبَحْرِ بِقَنَوَاتٍ صَغِيرَةٍ ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ السَّبْتِ جَاءَتِ الْحِيتَانُ ، وَوَقَعَتْ فِي هَذِهِ الْحُفَرِ ، فَإِذَا حَاوَلَتِ الْخُرُوجَ لَمْ تَقْدِرْ ، فَنَأْخُذَهَا صَيْدًا سَهْلًا فِي يَوْمِ الْأَحَدِ ..

وَهَكَذَا احْتَالَ الْيَهُودُ الْمُخَادِعُونَ عَلَى شَرْعِهِمْ وَدِينِهِمْ مِنْ أَجْلِ دَرَاهِمَ قَلِيلَةٍ ..

بَاعُوا دِينَهُمْ بِثَمَنٍ بَخْسٍ ..

بَاعُوا أُخْرَاهُمْ بِدُنْيَاهُمْ ..

وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا بَدَلَ الْآخِرَةِ ..

* * *

وَهَكَذَا بَدَأَتِ الْفِئَةُ الضَّالَّةُ مِنْ أَهْلِ «أَيْلَةَ» عَمَلَهَا الْمُخَادِعَ .. فَكَانُوا يَحْفِرُونَ الْحُفَرَ وَالْأَنْفَاقَ عَلَى الشَّاطِئِ وَيُوصِلُونَهَا

بقنوات ، أو ينصبون الشباك والشصوص ، في يوم الجمعة ..

وفي يوم السبت تأتي الحيتان إلى شاطئ القرية ، وهي آمنة مطمئنة وغافلة عما نصبوه لها ، فتقع في الحفر والشباك ، ولا تستطيع الخروج منها ، فتبقى حبيسة فيها إلى يوم الأحد ؛ حيث يأخذونها صيدا سهلا ..

كان هؤلاء الضالون يقومون بعملهم سرا في البداية .. ثم تبجحوا وأخذوا يقومون بعملهم علنا ، ودون حياء أو خجل ..

فلما رأى بقية أهل القرية ما يقوم به هذا الفريق الضال المخادع من انتهاك حرمة يوم السبت ، والتحايل على شرع الله (تعالى) ، انقسموا تجاههم إلى فرقتين أو فريقين ..

* * *

الفريق الأول .. وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر .. وهؤلاء كان لهم موقف إيجابي واضح ومحدد .. لم يعجبهم ما قام به المحتالون المخادعون من عمل .. فأنكروا عليهم التحايل على شرع الله وحرمة يوم السبت ..

نهوهم عن ذلك ..

وعظوهم وحذروهم من الاستمرار في ذلك التحايل .. وطلبوا منهم التوقف فورا عن صيد الحيتان في يوم السبت ، والتوبة

والرجوع إلى خالقهم ، قبل أن يحل عليهم غضبه وعقابه ..

فماذا كانت النتيجة ؟!

هل استمع هؤلاء المحتالون العاصون إلى نصح من نصحوهم ؟!

هل اتعظوا بنصحهم ، ورجعوا عن غيهم وطغيانهم ؟!

إن شيئا من ذلك لم يحدث ..

لم يستمعوا إلى نصح ، أو يعملوا بوعظ ..

لم يرتدعوا بتهديد أو وعيد ..

بل استمروا على فعلهم ، وأخذوا يبيعون صيدهم المحرم في الأسواق علنا ، ودون خوف من أحد ..

* * *

أما الفريق الثاني .. فهم الذين لم يشاركوا المحتالين على شرع الله في انتهاك حرمة يوم السبت ، ولم يشتروا منهم الحيتان التي كانوا يصيدونها في ذلك اليوم ..

كما أنهم أيضا لم ينكروا عليهم ما فعلوه ، ولم يعظوهم أو ينصحوهم ، كما وعظهم الفريق الأول .. بل إنهم أنكروا على الفريق الأول ما قاموا به من وعظ لهؤلاء العصاة المحتالين على تغيير شرع الله .. فقالوا للفريق الأول :

ـ ما الفائدة التي ترجى من نهيكم هؤلاء العصاة عن الصيد في يوم السبت ؟!

فما فائدة نصحكم ووعظكم لهم ؟!

لقد استحق هؤلاء المعتدون العقوبة المقررة لهم من الله، بأن يهلكهم أو يعذبهم، كما أهلك وعذب الطغاة المعتدين من قبلهم ..

إنكم تتعبون أنفسكم دون طائل أو فائدة ترجى ..

فرد عليهم أعضاء الفريق الأول، قائلين :

ـ لقد أمرنا ربنا (تعالى) أن نأمر بالمعروف وننهى عن المنكر .. وقد امتثلنا أمر ربنا، فوعظنا هؤلاء الضالين المحتالين أن يتركوا ضلالهم ويعودوا إلى شرع الله ..

إننا بذلك نكون قد أدينا ما علينا تجاه ديننا، وتجاه هؤلاء الخارجين عليه ؛ حتى لا تكون لهم حجة يوم القيامة عند الله، فيقولوا : لم ينصحنا أحد .. لم يأمرنا أحد بمعروف أو ينهنا عن منكر، وإلا كنا انتهينا ..

وختم أعضاء الفريق الأول ـ وهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ـ كلامهم قائلين :

ـ لقد نصحنا هؤلاء العصاة المعتدين لعلهم يتوبون عن

فعلهم ، ويعودون إلى ربهم ، فينجون من غضبه وعقابه ، ويتقون عذابه ..

* * *

وبرغم ذلك لم يرتدع الظالمون المعتدون .. بل استمروا في غيهم وضلالهم ..

لم يستمعوا إلى نصح الناصحين ، أو يلتفتوا إلى وعظ الواعظين ، فاستحقوا غضب رب العالمين .. فأخذهم الله (تعالى) بعذاب بئيس ، وهو العذاب الشديد الأليم الموجع .. جزاء فسقهم وعصيانهم وتغيير شرع ربهم ..

لقد مسخهم الله (تعالى) قردة خاسئين ..

كانوا رجالاً ونساء وصاروا قردة خاسئين ..

ولكن كيف حل عذاب المسخ بهؤلاء اليهود الملاعين فتحولوا من أناس إلى قردة خاسئين ؟!

اختلفت آراء العلماء والمفسرين في ذلك ، وقال كل منهم برأى .. فقال بعضهم :

ـ عندما حل عذاب الله (تعالى) بالقوم الذين اعتدوا فى السبت ، نودوا ثلاث مرات .. في المرة الأولى سمعوا صوتا يقول :

ـ يا أهل القرية ..

فانْتبهت طائفةٌ من أَهْلِ القرية الـمُعْتدين فِي السَّبْت ..

ثُمَّ سمعُوا صوتًا يقُولُ :

ـ يَا أَهْلَ القرْية ..

فانْتبهت طائفةٌ أكْثرُ من الأُولَى ..

ثُمَّ سمعُوا صوتًا يقُولُ :

ـ يَا أَهْلَ القرْية ..

فانْتبه كُلُّ الّذين اعْتدوا فِي السَّبْت من الرِّجال والنِّساء ..

فقَالَ اللّهُ (تعالى) لهُمْ :

﴿ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ ..

هكذَا حلَّ عذَابُ اللّه (تعالى) بهؤُلاء اليهُود الـمُعْتدين فِي السَّبْت ، فِي لحْظة ، فصارُوا قردةً خاسئين ..

صارُوا قردةً ذات ذُيُول تعوي بأصْوات مُنْكرة ، بعْد أنْ كانُوا بشرًا ينْطقُون ويتكلَّمُون ..

صارُوا يبْكُون بعد أنْ كانُوا يضْحكُون ..

ولَمَّا علم فريقُ الآمرين بالـمعرُوف والنّاهين عن الـمُنْكر ما حلَّ بهؤُلاء العُصاة الـمُحْتالين من مسْخٍ ، راحُوا يدْخُلُون عليْهم ويقُولُون لهم موبِّخين :

ـ يا فُلانُ ويا فُلانُ ويا فُلانُ ، ألَمْ ننْهكُمْ عنْ فعْل ذلك ، ونُحذِّرْكُم من غضب اللّه وعقابه ؟!

وأخذ الذين مسخوا قردة يهزون رءوسهم ، وكأنهم يقولون لهم في تحسر :

ـ بلى .. قد نصحتمونا لكننا لم نستمع إلى نصحكم ، وهذه هي نتيجة عصيان الله ..

* * *

وقال بعض العلماء والمفسرين :

ـ بعد أن اعتدى هؤلاء المحتالون على حرمة يوم السبت ، ونصحهم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ، فلم يستمعوا إلى نصحهم ، توجس الآمرون بالمعروف منهم خوفا ، وأيقنوا أن عذاب الله لابد أن يقع بهم في أية لحظة من ليل أو نهار .. ولذلك قالوا لهم :

ـ لا نسكن معكم في مكان واحد ؛ حتى لا يحل بنا ما سوف يحل بكم من عذاب الله (تعالى) ..

ولهذا قسموا القرية بينهم بجدار ، فعاش هؤلاء في مكانهم ، وعاش أولئك في مكانهم ..

وأصبح الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر ذات يوم ، فلم يروا من المعتدين أحدا ، أو يسمعوا لهم صوتا .. فتعجبوا من ذلك ، وقال بعضهم :

ـ مَا لَنَا لا نَسْمَعُ لِلْعُصَاةِ حِسًّا أَوْ نَرَى لَهُمْ أَثَرًا ؟!

فَرَدَّ عَلَيْهِ آخَرُ ، قَائِلاً :

ـ لَيْسَ ذَلِكَ مِنْ عَادَتِهِمْ .. رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ حَلَّ بِهِمْ أَمْرٌ خَطِيرٌ ..

وَقَالَ ثَالِثٌ :

ـ فَلْنَصْعَدِ الْجِدَارَ الْفَاصِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ وَنَنْظُرْ ..

فَتَسَلَّقَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْجِدَارَ الْفَاصِلَ بَيْنَهُمْ ، فَرَأَوْا عَجَبًا ، وَصَاحُوا مِنَ الدَّهْشَةِ :

ـ انْظُرُوا .. لَقَدْ مُسِخَ الْعُصَاةُ قِرَدَةً ..

وَقَالَ أَحَدُهُمْ :

ـ تَعَالَوْا نَفْتَحِ الْبَابَ الْفَاصِلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ ؛ لِنَرَى مَا حَلَّ بِهِمْ ..

فَفَتَحُوا الْبَابَ وَدَخَلُوا عَلَيْهِمْ ، وَأَخَذَ الَّذِينَ مُسِخُوا قِرَدَةً يَعُوونَ وَيَبْكُونَ ، فَقَالَ لَهُمُ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ فِي تَوْبِيخٍ :

ـ أَلَمْ نَعِظْكُمْ ؟! أَلَمْ نَنْهَكُمْ ؟! أَلَمْ نَطْلُبْ مِنْكُمْ أَنْ تَكُفُّوا عَنْ هَذَا ؟! أَلَمْ ؟! أَلَمْ ؟!

وَأَخَذَ الْقِرَدَةُ الْخَاسِئُونَ يَهُزُّونَ رُءُوسَهُمْ بِالْمُوَافَقَةِ ، قَائِلِينَ بِرُءُوسِهِمْ :

ـ نَعَمْ .. نَعَمْ ..

وقَالَ بعضُ العلماءِ والمفسِّرين :

ـ إنَّ الَّذين ارتكبُوا هذا العملَ المنكرَ قد اعتزلَهم بقيَّةُ أهلِ القريةِ ، ونهاهم عن فعلِهم هذا من نهاهم ، فلم يقبلُوا نُصحَهم ، أو يكُفُّوا عن صيدِ الحيتانِ في يومِ السبتِ . .

ولذلكَ أخذَ الآخرونَ يبيتُونَ وحدهم ويغلقُونَ بينهم وبينَ المعتدينَ أبوابًا ؛ لتكُونَ حاجزًا بينهم ، حيثُ إنَّهم كانُوا يترقَّبُونَ هلاكهم . .

وأصبحُوا ذاتَ يومٍ فوجدُوا الأبوابَ ما زالَتْ مغلقةً ، لم يفتحها المعتدُونَ ، حتى ارتفعتِ الشمسُ في كبدِ السماءِ ، وجاءَ وقتُ الضحى ، ولم يظهرْ للمعتدينَ أثرٌ . . فصعدَ رجلٌ في سلَّمٍ وتسلَّقَ الجدارَ الفاصلَ بينَ الفريقينِ ، فرأى المعتدينَ ، وقد مسخُوا قردةً . .

ففتحُوا الأبوابَ الفاصلةَ ، وتوجهُوا إليهم ، فأخذَ الَّذينَ مسخُوا قردةً يتعرفُونَ أقاربهم ، وهم لا يعرفُونهم . . وأخذَ الآمرُونَ بالمعروفِ والناهُونَ عن المنكرِ يوبخُونهم ، ويقولُونَ لهم :

ـ ألم ننهكُمْ عن ذلكَ ؟!

وأخذَ الَّذينَ سخطُوا يبكُونَ ويقولُونَ لهم برءوسهم :

ـ نعم . . نعم . .

قَالَ العُلماءُ : إنَّ سُكَّانَ هذه القَرية من اليهُود كانُوا حوالى سَبعينَ ألفًا ، وإنَّهم كلَّهم هلكُوا إلاَّ الَّذين نهَوا عن صيد الحيتَان فى يوم السَّبت ..

وقالُوا : إنَّ الَّذين مُسخُوا لم يَعيشُوا بعد المَسخ سوى ثلاثة أيَّامٍ فقط ، لم يأكُلوا خلالها أو يشربوا .. ولم يفعلُوا شيئًا بعدها سوى البُكاء والنَّدم .. وهيهات أن ينفع ندم أو بكاءٌ بعد فوات الفرصة .. فلنأخُذ من ذلك عظة وعبرة ..

وقد وردت قصَّةُ أصحاب «أيلة» المعتدين فى السَّبت فى سُورَة الأعراف ..

قَالَ اللَّهُ (تعالَى) :

﴿ وَسْئَلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ
إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ
كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ
مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾
فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ
كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴾ [سورة الأعراف : الآيات ١٦٣ : ١٦٦]

(تـمَّت)

رقم الإيداع : ١١٢٣٨ / ٢٠٠٣
الترقيم الدولى : ٨ - ٩٥٢ - ٢٦٦ - ٩٧٧